الغيب

عن الإنجليزية من روائع « وست »

للأستاذ عبد القادر حميدة

« مسرحية فى فصل واحد »

الأشخاص :

ريتشارد ألين : أستاذ جامعى سابق

إدوارد لين : ضابط متقاعد

المنظر :

(حجرة استقبال بمنزل السير ريتشارد ألين فى « لوتون » إحدى المدن الصغيرة بإنجلترا . . الساعة الخامسة والنصف من أصيل اليوم السادس من يونيو عام ١٩٣٦ — السير ألين جالس إلى مكتبه يكتب — وعلى مقربة منه قصاصات من أوراق مكتوبة . . وزجاجة من النبيذ وكأسان . . يتناول الكراسة فيمزق آخر ورقة سطرها . . وحين يلقى بها على المقعد . . يصل إلى سمعه دق على الباب فينهض من مكانه . . ويفتحه)

ريتشارد : أدخل يا مستر لين

إدوارد : « فى غرابة » أتعرف اسمى ؟

ريتشارد : كنت أتوقعك

إدوارد : أظن أن الدكتور « راودن » تحدث وإياك بشأنى فى رسالة يقدمنى بها إليك . آمل أن لا تزعجك هذه الزيارة غير الرسمية . .

ريتشارد : « يتناول الرسالة ويلقى بها على المكتب دون أن يفضها » أنا لا أهتم بالرسميات . . إنى أمقتها . . أتسمح لى أن أتناول قبعتك ومعطفك . ؟

« يتناولهما منه ويضعهما على مقعد بجانب المكتب » . . .

« إدوارد جالس »

ريتشارد : « يمسك زجاجة النبيذ وينتزع سدادها . . ويفرغ منها فى جوف كأسين » . . لعلك تشاركنى الشراب . . إنها مناسبة طيبة لنحتفى بك . . « أثناء الشراب » . . فى أى يوم نحن . ؟

إدوارد : فى اليوم السادس من يونيو

ريتشارد : لنشرب حتى الساعة السادسة من اليوم السادس من الشهر السادس عام ١٩٣٦

إدوارد : « وعو يتناول الكأس » إنها الآن السادسة تماما . .

ريتشارد : « فى فزع » . . لا . . ليست كذلك . . والآن . . ابسط إلى الأمر الذى من أجله أردت أن تراني

إدوارد : لقد طالعتنى إحدى الصحف بمقال عنك نادتك فيه بالرجل الفريد فى « لوتون » والأستاذ الجامعى الذى لا يود مطلقاً أن يتحدث إلى أحد . .

ريتشارد : ترهات . ! ! أنا لست بمثقف . . ولست بأستاذ جامعى الآن . . ثم أنى أتحدث إلى كثير من الناس . . بيد أنى لا أحب أن أجادلهم . . إنى أكره مباحثة الأشياء معهم . . لأننى لا أجد أية راحة فى البحث والنقاش

إدوارد : أنا لا أظن أن يوجد فى « لوتون » أناس كثيرون تجد مناقشاتك فى نفوسهم هوى . . فما « لوتون » إلا مدينة ضئيلة ملأى بشرذمة من أغبياء القوم . . الذين لا يثرثرون إلا فى أمور عادية هى أشد تفاهة من عقولهم الصدأة . . وإذا عن لهم أن يطرقوا باب المناقشة فليكن فى الحفلات والنفالات

ريتشارد : قد يكون هذا هو الصواب . . وقد لا يكون فأنا لم أقابل إلا أفراداً قلائل منهم . . وإن كانوا قد تحدثوا إلى فى شىء من الذكاء . . إلا أننى لم أجد لذة فى حديثهم ! ! وأنت . . هل أتيت لتقيم هنا على الدوام . ؟

إدوارد : أحل . . أجل . . ! ولقد اعتزلت عملى . . وسأظل هنا على الدوام . . وانه ليسعدنى أن ألقاك من وقت لآخر . . وستجد فى محدثاً يحسن الجدل فى لباقة . ! أنا لا أتفخر بذكائى ولست أقصد التواضع . . فهو أفت من الكبرياء . ! لقد ارتحلت كثيراً . . واطلعت بتوسع . . وغرت الحياة . . فوقفت على الكثير من خباياها . ! وإنى أعتقد أنك سوف تراح إلى عن الآخرين . . هل تجد فى حديثى إليك أى غضاضة أو عدم

ارتياح ؟

ريتشارد : حقاً . . إنك تملك عقلا سليما . . وتستعمله استعمالا طيبا . . ولكنك سوف لا تتمكن من الوصول إلى السر الذى انطوى عليه . . قبل أن أودع الحياة . . وها هو ذا إعترافى . .

إدوارد : يمكنك أن تثق بى . وإنه ليبدو لى أننى أعرفك من قبل

ريتشارد : « وقد تناول وسادة موضوعة على المكتب » ضع هذه خلف ظهرك لتريحك . . أوه . . أجل . . أنت تعرفنى من قبل . . لقد التقينا فى مدرسة القديس أنطونى

إدوارد : « مستذكراً » نعم . . لقد تذكرت الآن . . « ديك ألين » منافسى الخطير الذى فاز بجوائز المدرسة دونى . .

ريتشارد : أجل . . لقد كنا فى المدرسة زميلين . . كنت أنا مثال الطالب الغبى الذى يتخذ مكانه فى مؤخرة الصفوف . . وكنت أنت أنموذجا رائعا للمجد . . سواء فى عملك أم فى لهوك . أما أنا فقد كنت أرتبك فى أبسط الحاجات . . كم كنت أنظر إليك بعين الحاسد . . لنجاحك المطرد

إدوارد : إنك لم تكن غبيا كما تعتقد . ولكنك لم تجد ميلا من نفسك لدراسة الأشياء . . والتغلغل فى أعماقها . . إنك لم تكن عمليا بالمعنى المقصود

ريتشارد : لم أكن أبدا عمليا . . « لحظة صمت وشرود » . . ذات يوم . . حين كنت فى المدرسة . . عثرت — دون قصد — على كتاب غريب اسمه « قوى العقل الكامنة »

إدوارد : أتقصد قراءة الأفكار ؟ أذكر أنى قرأت بعض تجارب لهذا النوع . . كم كانت مسلية للغاية . . فمثلا . . الرجل يفكر فى رقم من الأرقام . . أو اسم من الأسماء . . فتذكره له زوجه . . ولكن التجارب لم تكن دائما موفقة

ريتشارد : لا . . لست أقصد قراءة الأفكار . . إن ما أعنيه هو معرفة « الغيب » . ومعرفة الغيب هى إدراك المستقبل والتنبؤ به . . والإنسان الذى يوهب هذا الشىء الخارق . . تكون له القدرة على لمس الحوادث قبل وقوعها . . قال الكتاب هذا . . وقال أيضا إن هذه القوى نادرة الوجود جدا . . ففى كل مليون آدمى . . واحد فقط هو الذى يملكها . . وغالبا ما يجهل هذا الواحد أنه يملكها ! قال الكتاب إن هذه القوى يمكن تنميتها وفسر كيف يكون ذلك

إدوارد : « فى دهشة » أنا لا أفهم شيئا مما تقول . . زدنى أيضاحا

ريتشارد : « متضايقا » سل نفسك عدة أسئلة عن أشياء تتوقع حدوثها . . دون أن تشغل عقلك بشىء . . وعندئذ ستتوارد الإجابات على ذهنك

إدوارد : هراء . . إنه غير ممكن . . وليس لمخلوق القدرة على التنبؤ بالغيب

ريتشارد : أرجوك . . لا تقاطعنى . . أنصت الى قصتى العجيبة :

لم أكن سوى طفل صغير غير مصدق ما يضمه هذا الكتاب بين دفتيه . . وهل اكتملت فيه عوامل الصواب . . أم لا . . ؟ . حاولت بادئ ذى بدء . أن أتنبأ بأشياء صغيرة على سبيل التجربة ، فمثلا كنت أسائل نفسى : من الذى سيقتحم على الغرفة بعد ؟ . وخطت محاولاتى خطوات واسعة . . حتى أقدمت على ذلك الاختبار التاريخى الذى كنت أخشاه لعقيدتى الراسخة بأنه نوع من الخداع وحاولت التنبؤ بالأسئلة التى سوف تلقى على

إدوارد : وماذا كانت النتيجة ؟ أذكر أنك صعدت لجأة إلى القمة . . وصرت تبزنى بعدها فى كل الامتحانات

ريتشارد : نعم لقد كنت دائما أحمل لك فى نفسى الحقد والحسد لتفوقك على . . ولكن بعد ذلك . . بدأ نجمى فى الصعود . . وأخذت أحوز السبق فى المعمعة دونك . . لأننى أصبحت مخادعا عبقريا . . أجل . . إنه اعتراف صارخ منى بأن نجاحى كان خدعة كبيرة . . ثم سارت حياتى فى ركب الحياة على تلك الوتيرة وهذا هو سر فشلى

إدوارد : ولكنك بتلك القوة الخارقة . . تستطيع أن تنال قسطا وافرا من النجاح . .

ريتشارد : انتبه . . لقد كسبت جائزة مدرسية كما تعرف . . ثم حصلت على مجانية التعليم الجامعى . . وكل جائزة جامعية وصرت فى طليعة المتقدمين . . ولم يجرؤ أحد على منافستى . ولما نلت إجازة التدريس عينت أستاذا بالجامعة . . وأذكر أنى كنت أحدث أستاذ تولى ذلك المنصب . . وبعدها . . .

إدوارد : « فى تحفز » ماذا حدث ؟

ريتشارد : قدمت استقالتى . . . لقد كان يجب على أن أستقيل كنت أجهل المادة التى أدرسها . . . وهى الأدب الإنجليزى . . .

إذ كان عقلي لا يحمل سوى القـــدر اليسير الذي اجتزت به الامتحان ... أعني الأسئلة التي تنبأت بهـا ... ودرست الإجابة عنها

إدوارد : وماذا كان من أمرك بعد ؟ أوفقت في الحصول على عمل آخر ؟

ريتشارد : أرسلت طلبات عدة ... ضاعت معها محاولاتي أدراج الرياح ... بيد أني في النهاية وفقت إلى عمل متواضع ... كمدرس بسيط ... ولكني استقلت

إدوارد : « في عجب » استقلت ! كيف ذلك ؟ إني أعتقد أنك سوف تكون مدرسا موفقا ... لاسيما وأنك ستعرف ماستأتي به الامتحانات ... وسينجح تلاميذك بفضل إرشادك إياهم إلى الإجابة الصحيحة

ريتشارد : « في أسف » أجل : كان من السهل أن افعل ذلك . ولكن ضميري لم يسمح لي بأن ألقي بتلاميذي في بؤرة الجهل التي تحتويني . فلم أرض أن أخدعهم . وتجنبت مواضع الأسئلة التي سيمتحنون فيها .. وكان أن رسب جميع التلاميذ فرميت بعدم الكفاءة على التدريس .. وأقصيت من عملي وواجهتني عاصفة هوجاء من الفقر . . فقلت لنفسي . . إذا لم يتيسر لي الحصول على المال الشريف فسأنهج أي طريق آخر للحصول عليه .. « يرمق إدوارد بنظرة طويلة شاردة » ألم تذهب يوما إلى السباق .. ألم تراهن على جواد ما ؟

إدوارد : راهنت أكثر من مرة . . ولا زلت أراهن على المملكة الغضية

ريتشارد : « وقد أسبل جفنيه وقتا » .. راجا هو الأول .. المملكة الغضية هو الثاني .. الحظ هو الثالث .. سوف تخسر كل مراهناتك يامستر إدوارد ! لقـد ربحت من وراء المراهنات مالا طائلا .. ولكني لم أتذوق لذة هذا الربح لأني كنت أعرف أنني سأربح دائما .. إن لذة المال ليست في كسبه ... وإنما هي في التنقيب عنه والجري وراءه !!

إدوارد : إنك مثالي للغاية .. ولم تحاول بطبيعتك أن تقنع نفسك بلذة الحصول على هذا المال

ريتشارد : « مستطردا » ولما لم أشعر بلذة هـذا الربح .. عولت على ترك المراهنات .. والتحقت بمكتب للتأمين .. كنت قادرا على أن أدلي بآرائي السديدة إلى الشركة فأشير عليها مثلا بقبول تأمين هـذا . . لأنه سيحيا طويلا . . ورفض ذاك لأنه سيموت غدا ! ولاقت توجيهاتي رواجا محمودا .. فتبوأت في الشركة مقعد المجد والشهرة .. وعينت وكيلا لها بإحدى المدن الضخمة .. ثم مستشارا عاما لجميع شركات التأمين ..

إدوارد : لعله عمل طيب ومدر للربح في وقت واحـد !

ريتشارد : لا بل كان على النقيض . . لأنني كنت أدرك خطورة الجرم الذي أقدم عليه .. لقد كانت الشركة دائما تستحوذ على أكبر قدر من المال .. والجمهور هو الذي يخسر .. هل تسول لك نفسك أن تحرم إنسانا حقه .. فتسلب أمواله .. لتقدمها إلى الشركة .. وربما أنت تعرف أن أسرته وأولاده في مسيس الحاجة إلى هذا المال ؟ إن التأمين الوحيد الذي جعلني أشعر بالسرور ذلك الذي أشرت على الشركة أن تعقـده — وكنت أدرك نتيجته — فخسرت الشركة كل أموالها .. ولهذا طردت من عملي

إدوارد : إنك ذو قلب كبير . وضمير مستيقظ . ولكن لماذا لم تخض ميدان التجارة .. أو الصناعة .. وفي مقدورك أن تفلح دون أن تؤذي الآخرين .؟

ريتشارد : حاولت كلتيهما ولكني لم أستمر ..

إدوارد : كيف ؟ تقصد أنك لم تفلح في تجارتك ؟

ريتشارد : كنت موفقا إلى حد بعيد .. فصار لدي المال الوفير .. وأصبحت من ذوي الثراء .. ولكني فقدت لذة العراك في سبيل الكسب .. وهتفت بالسعادة من ورائه فضلت السبيل إليها .. إن مجرد كسب المال ليس كل ما ينشده إنسان طموح يحاول جاهدا أن يساير ركب البشرية الواجف الذي يتدافع بالمناكب نحو غاية سامية . . إن المنافسة والنضال . . والرغبة في الغلبة .. والأمل في الربح .. هي السعادة المأمولة لرجل الأعمال .. المال يمنح النفوذ والقوة . ولكن النفوذ والقوة لم يكونا عمادا للسعادة .. إن الأعمال يجب أن تقترن دائما بالمنافسة .. إنها مباراة يكسب فيها كل جدير بالكسب ! أما أنا فكانت منافستي خالية من حرارة النضال .. لأنني كنت أعرف أن الظفر لي .. وحيثما أظفر .. يتراءى أمام عيني شبح الخداع الذي أتوارى خلفه .. فلا تألم

إدوارد : إن قصتك هذه من النوع الشاذ يا مستر ريتشارد ... وماذا تصنع الآن ..؟

ريتشارد: لاشيء سوى اطلاعي على الروايات القصصية والأدب.. فأنت لا تستطيع أن تتنبأ بحوادث القصة لأن الخيال بعيد عن عالم الحقيقة .. وكذلك كتب التاريخ .. فقد مرت حوادثه .. وليس من السهل إرجاعها ..

إدوارد : ولكن .. دعني أعرف .. لماذا تضيق بالمناقشة ..؟

ريتشارد : انظر إلى هذه الأوراق التي أمامك ..

إدوارد : « يتناولها ويقلب صفحاتها في دهشة وحيرة .. ثم يقرأ بصوت عال »

أتعرف اسمي ؟ أظن أن الدكتور « راودن » تحدث إليك بشأني .. لقد طالعني إحدى الصحف بمقال عنك .. نادتك فيه بالرجل الفريد في « لوتون » .. أنا أفخر بذكائي .. ولست أقصد التواضع فهو أغث من الكبرياء . أنقصد قراءة الأفكار أذكر أني قرأت بعض تجارب لهذا النوع .. كيف لم تصبح أغنى رجل في العالم ؟ الملكة الفضية .. إن قصتك هذه من النوع الشاذ .. وماذا تصنع الآن ؟

يا إلهي .. إنه نفس الحديث الذي ألقيته عليك منذ دخلت الغرفة ..

ريتشارد : لقد كتبت هذا قبل مجيئك هنا ... « يصمت بعض الوقت » أنا لا أحب المناقشة ... لأني أعرف دائما ماسيقوله المرء الذي سيتحدث إلي ... « يشحب لونه وتظهر على محياه بوادر الخوف والفزع ويتمتم » كم تكون الساعة الآن ؟

إدوارد : السادسة إلا أربع دقائق ... ...

« يزداد لون وجهه امتقاعا ... ويلتمع في عينيه شرر مخيف ... ويقول إدوارد مضطربا »

لماذا استبقيتني معك حتى الآن . . ؟

ريتشارد : إن صحتك دائما تتقهقر خطوات إلى الوراء ..

إدوارد : أعرف ذلك .. وأعرف أني .. في طريق إلى الموت.

ريتشارد : أنت دائم القلق على مصير زوجك وأولادك ... إن زوجك ستتزوج بعد واحد وعشرين شهرا ... أما أولادك ... فسيرعاهم إنسان غيرك

إدوارد : « صارخا » ... أرملتي ... أرملتي ... !! ماذا تقصد بهذا ..؟

ريتشارد : ما الوقت الان ..؟

إدوارد : السادسة إلا ثلاث دقائق ...

ريتشارد : « ينهض متثاقلا » لقد كنت دائما منافسي .. وأردت أن أسرد على سمعك قصتي قبل أن أرحل من دار الحياة « يجلس على المقعد لاهثا » هل تسمح لي بتلك السادة ؟

إدوارد : « وهو يناوله السادة » أمريض أنت يامستر ريتشارد ..؟ هل لك في جرعة من النبيذ ؟

« يضع في يده كأسا من النبيذ . . ولكن ريتشارد لم يقو على ارتشافها » أمريض أنت ..؟

أأدعو لك طبيبا ؟

ريتشارد : « وهو يغالب شفتيه .. في ألم ممض »

الساعة السادسة ... من اليوم السادس ... من الشهر السادس ... من العام السادس والثلاثين ... هو التاريخ الذي سأجرع فيه كأس المنون ...

أنا ... لا ... أقدر ... أن ... أخادع .. في هذا ... الامتحان ... !!

أ ... أ ... أعني .. أ .. أ .. الموت ..!

تسقط الكأس من يده .. وتتلاشى الأضواء .. ويبدو المسرح في حلة من الظلام .. بينما تدق الساعة دقتها السادسة تماما

عبد القادر حمزة

مطبعة الرسالة